

عنوان الأحد الأحد الجديد

الأخت راغدة عبيد (ر.ل.م.٠)

(سفر أشعيا: ٥٢ / ٧ - ١٢)

٧ مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ وَقَعَ قَدَمِي الْمُبَشِّرِ الَّذِي يُذِيعُ سَلَامًا وَيُنْشُرُ بَشَائِرَ الْخَيْرِ. الْقَائِلُ لِصُهْيُونَ: "قَدْ مَلَكَ إِلَهُكَ!"
٨ هَا رُقَبَاؤُكَ! قَدْ رَفَعُوا صَوْتَهُمْ مَعًا وَشَدُّوا بِفَرَحٍ. لِأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ عَيْنًا رُجُوعَ الرَّبِّ إِلَى صُهْيُونَ.

٩ اهْتِفِي مُتَرَجِّمَةً يَا أَرْضَ أُورَشَلِيمَ الْخَرِبَةِ. لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ وَأُفْتَدَى أُورَشَلِيمَ.
١٠ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ أَمَامَ عِيُونِ كُلِّ الْأُمَمِ. فَتَرَى أَقَاصِي الْأَرْضِ خَلَاصَ إِلَهِنَا.
١١ أَنْصَرِفُوا. أَنْصَرِفُوا وَاخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ وَلَا تَمَسُّوا خِصَّاسًا. اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِ بَابِلَ، وَطَهَّرُوا أَنْفُسَكُمْ يَا حَامِلِي آيَةِ الرَّبِّ.
١٢ لِأَنَّكُمْ لَنْ تَخْرُجُوا مِنْ بَابِلَ فِي عَجَلَةٍ، وَلَنْ تُغَادِرُوهَا هَارِبِينَ. لِأَنَّ الرَّبَّ سَيَسِيرُ أَمَامَكُمْ، وَإِلَهُ إِسْرَائِيلَ يَحْرُسُ مُؤَخَّرَةً قَافِلَتَكُمْ.

مقدمة

الْيَوْمَ يَعْتَلِنُ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ لِلتَّلَامِيذِ. بِحُضُورِ تُومَا مَعَهُمْ، إِذْ كَانَ غَائِبًا عَنِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَمَا قَامَ الرَّبُّ وَرَأَى التَّلَامِيذَ الْقَبْرِ فَارِعًا. فَالْأَحَدُ الثَّانِي بَعْدَ الْقِيَامَةِ هُوَ الْأَحَدُ الْجَدِيدُ. لِأَنَّ التَّلَامِيذَ عَرَفُوا الرَّبَّ الْقَائِمَ مِنَ الْمَوْتِ، بِعُمُقٍ أَكْبَرَ وَبِفَهْمٍ أَكْبَرَ. وَذَلِكَ بِفَضْلِ شَكِّ تُومَا: "مَا لَمْ أَرِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ فِي يَدَيْهِ، وَأَضَعَ إِبْصَعِي فِي مَوْضِعِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعَ يَدِي فِي جَنْبِهِ. لَنْ أُوْمِنَ!" (يو ٢٠ / ٢٥). مِنْ بَعْدِ هَذَا اللَّقَاءِ مَعَ الرَّبِّ الْحَيِّ، امْتَلَأَ التَّلَامِيذُ ثِقَةً، وَحَمَلُوا الْبِشَارَةَ. فَصَارُوا رُسُلَ الْمَسِيحِ الْقَائِمِ مِنَ الْمَوْتِ: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلْقٌ جَدِيدٌ: لَقَدْ زَالَ الْقَدِيمُ، وَصَارَ كُلُّ شَيْءٍ جَدِيدًا" (٢ قور ٥ / ١٧).

مَعَ هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ، تَخْتَارُ كَنِيستُنَا المَارُونِيَّةُ قِرَاءَةَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ مِنْ سِفْرِ أَشْعَا. مِنْ كِتَابِ التَّعْزِيَةِ لِلشَّعْبِ الْمَسِيحِيِّ عَنْ أَرْضِهِ، إِذِ الرَّبُّ أَرْسَلَ مَسِيحَهُ، وَهُوَ قُورُشُ مَلِكُ فَارِسِ الْوثنِيِّ الَّذِي آمَنَ بِالرَّبِّ، لِيُخَلِّصَ إِسْرَائِيلَ مِنْ سِنِي الْعُبُودِيَّةِ. فَالْقِرَاءَةُ هِيَ نَشِيدٌ يُنْشَدُ قُدْرَةَ الرَّبِّ وَخَلَاصَهُ. فَكَمَا حَوَّلَ الرَّبُّ شَكَّ تُومَا إِلَى إِيْمَانٍ ثَابِتٍ، هَكَذَا، حَوَّلَ الرَّبُّ قَلْبَ الْمَلِكِ الْوثنِيِّ لِيُشْفِقَ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَيُخَلِّصَهُ.

٧ مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ وَقَعَ قَدَمِي الْمُبَشِّرِ الَّذِي يُذِيعُ سَلَامًا وَيُنَشِّرُ بَشَائِرَ الْخَيْرِ الْقَائِلِ لَصْهِيُونَ: "قَدْ مَلَكَ إِلَهَكَ!"

أَلْفُصُول (٤٠ - ٥٥)، يُطْلَقُ عَلَيْهَا عُنْوَانُ "كِتَابُ التَّعْزِيَةِ" وَ قَدْ سَمَّاهُ اللَّاهُوتِيُّونَ "إِنْجِيلُ أَشْعِيَا" لِأَنَّهُ يَحْمِلُ لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ الْمَنْفِيِّ إِلَى بَابِلَ، بُشْرَى الْفَرَحِ وَالْخَيْرِ وَالسَّلَامِ وَنَهَايَةِ زَمَنِ الْعُبُودِيَّةِ.

يُنَشِّدُ النَّبِيُّ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ جِبَالَ أُورُشَلِيمَ، وَيُصَوِّرُ حَامِلَ بُشْرَى الْخَلَاصِ يَتَنَقَّلُ عَلَى الْجِبَالِ وَيَصِلُ إِلَى صْهْيُونَ، لِيُعلنَ لَهَا أَنَّ الرَّبَّ الَّذِي تُؤْمِنُ بِهِ قَدْ مَلَكَ. يَدْعُو النَّبِيُّ الْقَارِئَ لِيُصْغِيَ إِلَى صَوْتِ "وَقَعَ قَدَمِي" الْمُبَشِّرِ وَهُوَ صَوْتُ جَمِيلٌ، لِأَنَّهُ يَحْمِلُ بُشْرَى الْخَيْرِ وَالسَّلَامِ بِفَرَحٍ. وَذَكَرُ قَدَمِي الْمُبَشِّرِ يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّتِهِمَا فِي نَشْرِ الْبُشْرَى بِسُرْعَةٍ، فَعَلَيْهِمَا يَتَوَقَّفُ وَصُولُ الْخَبَرِ.

الْخَبَرُ السَّارُّ هُوَ: "قَدْ مَلَكَ إِلَهَكَ يَا صْهْيُونَ". إِنَّ مَلَكَ اللَّهِ، فَالْبُشْرَى بِالسَّلَامِ وَالْخَيْرِ أَكِيدَةٌ، لِأَنَّهُ أَمِينٌ لِمَوَاعِيدِهِ. كَمَا سَبَقَ وَذَكَرْنَا مِرَارًا فِي الْقِرَاءَاتِ الْمَأْخُودَةِ مِنْ سِفْرِ أَشْعِيَا، أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ تَنَبَّأَ فِي زَمَنِ سَبْيِ الْيَهُودِ عَنْ أَرْضِهِمْ عَلَى أَيْدِي الْغُزَاةِ الْأَشُورِيِّينَ. وَهَذَا النَّشِيدُ يُبَشِّرُ الشَّعْبَ الْمَسْبِيَّ بِحُلُولِ زَمَنِ الْحُرِّيَّةِ وَانْتِهَاءِ سِنِي السَّبْيِ وَبِالتَّالِي عَوْدَةِ الشَّعْبِ إِلَى أَرْضِهِ. فَالنَّبِيُّ يُحَاوِلُ بِتَعَابِيرِهِ أَنْ يَنْشُرَ الْفَرَحَ وَالسَّلَامَ وَالشَّجَاعَةَ فِي قُلُوبِ الْمَسْبِيِّينَ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَهُ الَّذِي اخْتَارَهُمْ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ، قَدْ انْتَصَرَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَسَيَمْلِكُ مِنْ جَدِيدٍ فِي صْهْيُونَ.

كَمَا يَجْدُرُ التَّذْكِيرُ، بِأَنَّ الشُّعُوبَ الْقَدِيمَةَ، وَمَنْ بَيْنَهُمِ الْيَهُودَ، كَانُوا يَعْتَبِرُونَ أَنَّ الْحُرُوبَ الَّتِي تُشْنَى هِيَ حُرُوبُ بَقِيَاةِ الْإِلَهَةِ، فَالْإِلَهُ الَّذِي يَنْتَصِرُ يَكُونُ الْإِلَهُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَعْبُدَهُ الشُّعُوبُ. لِهَذَا السَّبَبِ يُعلنُ أَشْعِيَا الْبُشْرَى لَصْهْيُونَ: "إِنَّ إِلَهَكَ قَدْ مَلَكَ!" إِلَّا أَنَّ الرَّبَّ إِلَهَهُ، هُوَ وَحْدَهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ وَقَدْ قَادَ شَعْبَهُ عَلَى أَيْدِي أَنْبِيَائِهِ مِنْ أَرْضِي الْعُبُودِيَّةِ وَالْجَلَاءِ، إِلَى أَرْضِهِمْ وَخَلَّصَهُمْ مِرَارًا مِنْ أَعْدَائِهِمْ. لَكِنْ ذَاكَرَةَ الشَّعْبِ ضَعِيفَةً فَيَنْسَوْنَ إِلَهُهُمْ وَيَتَعَدُّونَ عَنْهُ وَعَنْ وَصَايَاهُ، لِيَعْبُدُوا أَصْنَامًا وَإِلَهَةً كَاذِبَةً عَلَى مِثَالِ الشُّعُوبِ الْوَثْنِيَّةِ، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى الرَّبِّ مُلْتَمِسِينَ مِنْهُ الْغُفْرَانَ. إِنَّهُ تَارِيخُ الشَّعْبِ الْمَسِيحِيِّ الَّذِي يَتَكَرَّرُ، فَتَارَةً يَعْبُدُ الْمَالَ وَتَارَةً أُخْرَى السُّلْطَةَ وَالشُّهْرَةَ، ثُمَّ يَتَذَكَّرُ فَيَعُودُ إِلَى الرَّبِّ الَّذِي يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ الضَّالِّينَ، لِيُخَلِّصَهُمْ.

٨ هَا رُقَبَاؤُكَ! قَدْ رَفَعُوا صَوْتَهُمْ مَعًا وَشَدُّوا بِفَرَحٍ، لِأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ عَيْنَانَا رُجُوعَ الرَّبِّ إِلَى صْهْيُونَ.

الرُّقَبَاءُ هُمْ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ الْمُؤْمِنَ بِالرَّبِّ وَبِأَمَانَتِهِ لِعَوْدِهِ، هُمْ الشَّعْبُ الْيَهُودِيُّ الَّذِي لَمْ يَنْمِ نَفْسُهُ عَنْ أَرْضِهِ وَثَبَّتَ عَلَى إِيْمَانِهِ، رَغْمَ الضَّيِّقَاتِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ الرَّبِّ وَرَحْمَتَهُ بَعْدَ

سِني الغُرْبَةِ، بِسَبَبِ الْخَطَايَا. فَالنَّبِيُّ يَتَصَوَّرُ الْعَوْدَةَ مِنَ السَّبْيِ، بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. فَيَرَى أَهْلَ أُورُشَلِيمَ يُطْلِقُونَ أَصْوَاتَهُمْ، بَعْدَمَا سَكَنْتَ لِسِنِينَ عَدِيدَةٍ فِي الصَّمْتِ، بِسَبَبِ الْمُضْطَّهِدِ، وَيُعلنُونَ فَرَحَهُمْ بِالْعَوْدَةِ إِلَى أَرْضِهِمْ، بِقِيَادَةِ الرَّبِّ إِلَهِهِ، الَّذِي كَانَ مَسْبِيًّا هُوَ أَيْضًا مَعَ شَعْبِهِ، إِذْ حَيْثُ يَكُونُ الشَّعْبُ، هُنَاكَ يَكُونُ الرَّبُّ حَاضِرًا. فَهُوَ شَاهِدُ عَوْدَةِ الرَّبِّ عَيْنًا هُنَا، تَعْنِي عَوْدَةَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى وَجْهَ الرَّبِّ، كَمَا أَعْلَنَ لِمُوسَى: "أَمَّا وَجْهِي فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَاهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَانِي الْإِنْسَانُ وَيَحْيَا" (خر ٣٣ / ٢٠).

٩ اهْتَفِي مُتَرَنِّمَةً يَا أَرْضَ أُورُشَلِيمَ الْخَرِبَةِ، لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ وَأَفْتَدَى أُورُشَلِيمَ.
١٠ شَمِّرِ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ الْأُمَمِ، فَتَرَى أَقَاصِي الْأَرْضِ خَلَاصَ إِلَهِنَا.

دَعْوَةُ الْآيَةِ ٩ لِلْهُتَافِ وَالتَّرْنِيمِ، إِنَّمَا هِيَ وَاقِعٌ وَحَدَّثٌ حَقِيقَتَانِ شَهِدَتُهُمَا أُورُشَلِيمُ فِي نَهَايَةِ سِني السَّبْيِ. فَقُورُشُ مَلِكِ فَارِسَ أَعَادَ الشَّعْبَ الْمَسْبِيَّ إِلَى بِلَادِهِ وَأَمَرَ بِنَاءَ مَا دَمَّرَهُ الْأَعْدَاءُ، كَمَا أَمَرَ أَيْضًا بِنَاءَ بَيْتِ الرَّبِّ مَكَانَ الْهَيْكَلِ الَّذِي تَهَدَّمَ. يَصِفُ النَّبِيُّ ارْتِدَادَ مَلِكِ فَارِسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْإِلَهِ إِسْرَائِيلَ، إِذَا حَقَّ لَنَا الْقَوْلُ، بِتَدَخُّلِ الرَّبِّ بِوَاسِطَةِ عَمَلِ قُدْرَتِهِ، الَّتِي حَوَّلَتْ قَلْبَ الْمَلِكِ الْوَثْنِيِّ إِلَى الرَّأْفَةِ بِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ (راجع عز ١ / ١ - ٤). وَهَذَا الْحَدَّثُ التَّارِيخِيُّ مَعْرُوفٌ وَمُدَوَّنٌ فِي سِجَلَاتِ الْمُلُوكِ الْفَارِسِيَّةِ، كَمَا نَحْدُ كِتَابَةً بِالْخَطِّ الْمِسْمَارِيِّ مَحْفُورَةً عَلَى قِطْعَةٍ فَخَّارٍ فِي مَتَحَفِ بِيروَتِ le cylindre de Cyrus، لِلنَّدَاءِ الَّذِي أَطْلَقَهُ قُورُشُ: l'édit de Cyrus أَوْ مَنَشُورُ قُورُش. فَبِحَقِّ شَهِدَتِ الْأُمَمُ وَبِقَاعِ الْأَرْضِ خَلَاصَ الرَّبِّ لِشَعْبِهِ. فَهَذَا إِنَّ الْمَنَشُورَ مَحْفُوظٌ حَتَّى الْيَوْمِ شَهَادَةً لِعَظَمَةِ قُدْرَةِ الرَّبِّ الَّذِي حَقَّقَ خَلَاصَ شَعْبِهِ عَلَى أَيْدِي الْأَجْنَبِيِّينَ الْوَثْنِيِّينَ، الَّذِينَ اعْتَرَفُوا أَنَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ هُوَ حَيٌّ وَهُوَ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ.

١١ اِنْصَرِفُوا، اِنْصَرِفُوا وَاخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ وَلَا تَمَسُّوا نَجَسًا. اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِ بَابِلَ، وَظَهَرُوا أَنْفُسَكُمْ يَا حَامِلِي آيَةِ الرَّبِّ.

إِنَّ أَشْعِيَا السَّاكِنَ فِي أُورُشَلِيمَ يُنَادِي الشَّعْبَ الْمَنْفِيَّ فِي بَابِلَ "اخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ". إِنَّ النَّبِيَّ يَأْمُرُ شَعْبَ الرَّبِّ لِلْعَوْدَةِ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالتَّطَهُّرِ مِنْ دَنَسِ تِلْكَ الْبِلَادِ الَّتِي حَقَّرْتَهُمْ وَاسْتَغْلَلَتْهُمْ. فَيُذَكِّرُهُمْ أَنَّ بَابِلَ هِيَ بِلَادُ الْوَثْنِيِّينَ، وَالرَّبُّ كَانَ قَدْ أَمَرَهُمْ بِعَدَمِ السَّكَنِ مَعَ الْغُرَبَاءِ، لِئَلَّا يَتْرَكُوا وَصَايَاهُ وَيَعْبُدُوا أَوْثَانَ الْأُمَمِ (راجع تث ١٢ / ٢٩ - ٣١). إِلَّا أَنَّ سِيفَرِي عَزَزَا وَنَحَمِيَا يُخْبِرَانِ عَنْ إِصْرَارِ الْبَعْضِ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ بِالْمُكُوثِ فِي بَابِلَ حَيْثُ بَنَوْا بِيوتَهُمْ وَأَمْتَلَكُوا، فَلَمْ يَتَخَلَّوْا عَنْ حَيَاتِهِمْ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَعَنْ مُمْلَكَاتِهِمْ وَمَصَادِرَ مَعِيشَتِهِمْ، لَكِي يَعُودُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ حَيْثُ الْخَرَابُ وَالْبَدَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

١٢ لَأَنَّا لَكُمْ لَنْ تَخْرُجُوا مِنْ بَابِلَ فِي عَجَلَةٍ، وَلَنْ تُغَادِرُوهَا هَارِبِينَ، لِأَنَّ الرَّبَّ سَيَسِيرُ أَمَامَكُمْ، وَإِلَهُ إِسْرَائِيلَ يَحْرُسُ مُؤَخَّرَةً قَافِلَتَكُمْ.

وَخُرُوجُ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ مِنْ بَابِلَ لَمْ يَكُنْ كَخُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ هَرَبًا مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَلَى عَجَلَةٍ، بَلْ، كَمَا يَشْهَدُ التَّارِيخُ، فَقَدْ عَادُوا بِحِرِّيَّةٍ إِلَى بِلَادِهِمْ وَبِسَلَامٍ وَطُمَأْنِينَةٍ، لِأَنَّ قُورُشَ الْفَارِسِيِّ حَرَّرَهُمْ وَسَهَّلَ لَهُمْ طَرِيقَ الْعَوْدَةِ، مُعْتَرِفًا بِخَلَاصِ الرَّبِّ، إِلَهُ السَّمَاوَاتِ. فَقَدْ تَمَجَّدَ اسْمُ الرَّبِّ عَلَى شَفَتَيِ الْوَثْنِيِّ وَفِي حَدَثِ خُرُوجِ الشَّعْبِ حُرًّا مِنْ بَابِلَ.

خلاصة روحية

"السَّلَامُ لَكُمْ!" (يو ٢٠ / ٢٦ ب)، بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ يُحْيِي الرَّبُّ تَلَامِيذَهُ. بِالْعِبَارَةِ ذَاتِهَا، يُعْلِنُ مُبَشِّرُ مَدِينَةِ صَهْيُونَ الشَّعْبِ الْمَسْبِيِّ. إِنَّ السَّلَامَ رَغْبَةُ الْقُلُوبِ وَدَوَاءُ النُّفُوسِ، وَنَحْنُ بِأَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِنَا الْعَصِيبَةِ الَّتِي نَمُرُّ بِهَا. إِنَّ بِلَادَنَا تَتَوَقَّعُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُبَشِّرِينَ بِالسَّلَامِ وَالْخَلَاصِ. إِنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ، تَدْعُونَا لِلْوُثُوقِ بِالرَّبِّ الْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَنَا، مَهْمَا كَلَّفَ الْأَمْرُ. فَلَيْسَ عِنْدَ الرَّبِّ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ، بَلْ عِنْدَهُ وَمَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ هُوَ جَدِيدٌ وَعَظِيمٌ، فَكَمَا حَوَّلَ قَلْبَ الْمَلِكِ الْوَثْنِيِّ إِلَى الْإِيمَانِ، سَيُحَقِّقُ لَنَا الْخَلَاصَ فِي وَطَنِنَا بِطَرِيقَةٍ جَدِيدَةٍ وَعَجِيبَةٍ. مَعَ الْأَحَدِ الْجَدِيدِ، نَطْلُبُ مِنَ الرَّبِّ أَنْ يُجَدِّدَ أَذْهَانَنَا وَقُلُوبَنَا فَنَسْتَحَقَّ الطُّوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا: "لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي آمَنْتَ؟ طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرَوْا وَآمَنُوا!" (يو ٢٠ / ٢٩).